الشكوك الدينية

فوردَ

CA[redacted]

21:F69 8A

JUN 3 463	
NOV 3 1538	
APR 28 1664	
MAY 6 2062	

CA20
5
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY
CH
211
F69sA
c.1

الشكوك الدينية

للمرحوم الدكتور جورج فورد

سلسلة مقالات نشرت تباعًا في النشرة الاسبوعية
تحت عنوان
قطرات عين حلوة

وهي اخر ما كتبهُ الفقيد

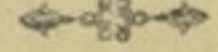

38447

المطبعة الاميركانية — بيروت سنة ١٩٢٨

Gift. Cal. Jan. 1930

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

ايها الطالب الكريم

كان يشغل بال الدكتور جورج فورد ان كثيرين من الشبان في حياتهم المدرسية معرّضون لمقابلة بعض شكوك دينية . وراى انهم بحاجة ماسة الى اشراق نور الحقائق الروحية مجرّداً عن روح التعصب على هذه الافكار التي تسبب التشويش في احكام عقولهم . وقد رجا ان الاراء والافكار المنسقة على هذا الاسلوب والمودعة في المقالات المتسلسلة التي نشرها تباعاً في جريدة النشرة الاسبوعية تحت عنوان « قطرات عين حلوة » تقود مثل هولاء الشبان المحبوبين عنده والذين يهمهُ امرهم الى هذا النور . وهذا ما قالتهُ النشرة الاسبوعية في شأن هذه المقالات : « لقد لقيت النبذات التي ننشرها تحت عنوان — قطرات عين حلوة — اجمل وقع لدى جمهور القراء خاصتهم وعامتهم وقد سمعنا باذاننا آيات الثناء على كاتبها من فريق من المتنورين واستزادونا من نشر مثلها على صفحات الجريدة تعميماً للفائدة فلم نتمالك اذ ذاك ان شكرنا معهم كاتب هذه النفثات ورغبنا اليهِ ان يزيدنا منها كلما سنحت لهُ الفرصة ففهمنا ان لديه بضع عشرة نبذة سننشرها اتماماً للبحث الذي بدأ فيهِ في — الشكوك الدينية —

وقد تلطف الكاتب حفظه الله فاجاب طلبنا » انتهى

واذ علمت انهُ افضى في حديث شخصي غير رسمي لاحد اصدقائهِ انهُ يريد جمع تلك المقالات المشار اليها وطبعها في كتاب خاص بغية تقديم نسخ منهُ لبعض الشبان احيت اتماماً لهذا القصد الحبي المفيد مع الرجاء انهُ يجلو ما ربما يطرأ على الفكر من غشاوة الشكوك ببركة الله ان اقدم لك هذا الكتاب راجيةً قبولهُ من صديقتك

كاترين ارملة

جورج فورد

صيدا — عين حلوة في ١٦ حزيران سنة ١٩٢٨

الشكوك الدينية

المقالة الاولى

كلام عام

لا يغرب عن البال ان تأثير المجاهر بالكفر ينتج حالتين الاولى ضارّة وهي انهُ يوذي الذين ينقادون الى اضاليلهِ اذى لا مزيد عليهِ وعلى هذا الاذى يحاسب والثانية قد لا تخلو من الفائدة وان لم تكن مباشرة وان لم تكن مقصودة وهي انهُ بايقاظهِ الشكوك الشريفة في عقول المفكرين المخلصين من اهل الدين يدفعهم الى الفحص والتنقيب عن اصول دينهم وبيناتهِ . فبذلك يخدم الدين الذي يقصد ابطالهُ . ويسبب فوائد تكاد تفوق الاضرار . لكن لان الحساب يتبع النوايا فلا يكافأ الكافر من اجل هذه النتيجة الحسنة

الشك عبارة عن انتباه يقود الى الاستفهام وهذا الثاني هو الباب الاصلي والاوحد الى المعرفة المعينة وبتعريف المعجم « الشك التردد بين نقيضين بلا ترجيح لاحدهما على الاخر عند الشاكّ . وهو ما استوى طرفاه . وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب الى احدهما .

فاذا ترجح احدهما ولم يطرح الآخر فهو ظن فاذا طرحهُ فهو غالب الظن وهو بمنزلة اليقين»

من المعلوم ان الشكوك في امور الدين قد انتشرت في زماننا انتشاراً واسعاً في اكثر اقطار المسكونة وبين اكثر المذاهب الدينية وان لهذا الامر علاقة كلية بالنهضة العلمية العجيبة التي طارت بسرعة في الاجيال المتأخرة من بلاد الى بلاد ومن الطبيعي ان تزداد الشكوك بزيادة المعارف. اذ ان كل معرفة جديدة ترفع الستار عن قضايا جديدة كانت مخفية . فتكون حقيقتها موضوع الشك الى بعد الفحص عنها لذلك تتولد اكثر الشكوك واعتقدها في دوائر المعارف والتمدن والرقي

ينبئنا التاريخ بحدوث هبات عظيمة للشكوك الدينية تكراراً في عصور مختلفة بين الشعوب النصرانية. ثم كان يعقب كلاً منها نهضات اصلاحية تعيد سيادة اليقين الديني. والظاهر ان الانتشار الحالي اسلم من الهبات السالفة لانهُ لا يسوق بقدر ما كانت تسوق تلك الى الانكار والالحاد . ولا ريب في ان الاكتشافات الحديثة المدهشة في عجائب طبيعيات الكون آلت الى زيادة يقين المفكرين بخالق عظيم لهذا الكون تواليهم اعجاباً باعماله وتقودهم الى الايمان بهِ والسجود لهُ والاتكال عليهِ والطاعة لوصاياه

ان خصب السهول والمروج عائد الى طغيان سواقينا وانهارنا حيناً بعد حين منذ نهضت الجبال عن سطح البحار ولم يأتِ هذا الخير الجزيل الدائم الا وبصحبتهِ بعض الاضرار الوقتية

فمثل ذلك امر النهضات العلمية في التاريخ البشري فانها تولد شكوكاً تسبب بعض الاضرار لكنها تضع راسباً مخصباً مفيداً يبقى مع الايام

واني لراجٍ من مطالعي النشرة ان يشاركوني في سلسلة مقالات في التشكك الديني واتمنى من كل قلبي ان اتوفق الى اقناع كل من يقراها وهو في صف الذين تدفعهم شكوكهم الى الانكار ان ينتقل الى صف الذين تقودهم الى يقين مشبع ومتين اكثر من الذي زعزعتهُ فيهم شكوكهم

واود ايضاً ان اقدم ملحوظات في هذا الموضوع يستعين بها الذي يسعى في معالجة شكوك غيره

اما البحث الذي نباشره فينحصر في الشكوك اجمالاً وبحكم الاضطرار لا يتجاوز الى مفردات القضايا الدينية . فلننظر نظرة نظرة عمومية في مصدر الشكوك ومعناها وتأثيرها ومعالجتها

« وما توفيقنا الا بالله »

المقالة الثانية

احترام الشكوك

تحترم الشكوك لانها تدعو العقلاء الى النمو في المعرفة · فالى اللذة العظيمة التابعة لهذا النمو · متى شعر العاقل بانهُ يجهل امراً ما يتقد شوقاً الى معرفتهِ · فيتخذ الشك (الذي هو عبارة عن الاستفهام) وسيلة لذلك · وهذا هو طريق النمو

اسباب الاحترام

وتحترم لانها باب اهتداء الضالين · ما لم يشك الوثني او المجوسي بصحة عبادتهِ لا يفحص ولا يهتدي الى عبادة الاله الحقيقي

وتحترم لانهُ حيث لا شكوك اولاً لا معرفة راهنة اخيراً · اما الذين لا شكوك لهم لكونهم يتكلون على مقررات غيرهم بتسليم اعمى في القضايا التي كان يطلب منهم ويمكنهم ان يفحصوها ويقرروها لو شاءوا فهولاء لا تحسب معارفهم ذات بال · ولا يمكنهم ان يزيدوا في المعارف شيئاً · ولا يحترم خلوهم من الشكوك

فشكوك العاقل لا تلبسهُ عاراً عند الفاهمين · كما وانها لا تعذبهُ

لانهُ يعرف مقامها واخلاصهُ فيها واستعداده للسعي في حلها . ويعلم انها الطريق المثلى الى اليقين الثابت

اليقين والكفر نقيضان يفتح الشك الطريق اليهما ليختار الشاك منهما ما توحيهِ اليهِ مبادئهُ

انهُ امر طبيعي ان تزيد شكوك الاذكياء والعلماء عن شكوك البلداء والاغبياء . لكن تزيد عند الاولين ايضاً المساعي الفعالة لحلها . يعلمون ان اليقين غذاءُ النفوس وان الشكوك ليست الا وسيلة لاجل الحصول على هذا الغذاء

اقوال المشاهير فيها

اصطلح استاذ انكليزي شهير ان يستقبل تلاميذه يومياً بسواله «ما هي شكوككم اليوم؟ لان الذي لا شكوك له لا فهم له ايضاً» وقال احد الفلاسفة « الشك هو الرواق الذي لا بد لكل انسان من ان يجتازه ليتمكن من الدخول الى هيكل الحكمة » وقال اللورد بيكن احد فطاحل الفلسفة « من يبتدىء في تأملاتهِ بالتاكيد لا يلبث ان ينتهي الى الشك . اما من يبتدىء فيها بالشك فسوف ينتهي الى التاكيد» وقال الفلسيوف ليتن الانكليزي رئيس اساقفة بلاده « الذين لا يعرفون شيئاً من العلوم الطبيعية لا يعرفون الشكوك . فلا تخف ان

تشك اذا كانت لك القابلية لليقين · فاقبل الشك لكي تنتهي الى تحقيق الحق » وقال شكسبير « الشك مع التواضع منار الحكماء » وقال الفليسوف الالماني جوتي « ان الشك يزيد بزيادة المعرفة وقال الفليسوف الايطالي دانتي « احب ان اشك احياناً كما احب ان اعلم » فمن هذه الشهادات وامثالها يتبين ان الشكوك قد تكون شريفة لا بل ضرورية ايضاً · والذي يطلب ان تحترم شكوكه عليهِ ان يحترم شكوك غيره تحت الشروط التي تربط شكوكه لكي تستحق الاحترام وهذه الشروط الجازمة سوف تكون موضوعاً للبحث في هذه المقالات المتسلسلة

احترامها

تحترم الشكوك لانها حسنة · لكن لحسنها شروطاً · فقد تصير عاطلة · الرياضة حسنة لكنها قد تتحول الى غير حسنة كما اذا مشى الانسان على راسهِ او اطال الرياضة الى ان تنتهك قواه

النوم حسن لكنهُ يتحول ويلاً اذا نام الانسان في غرفة ملأى من الغازات السامة او اذا اطال النوم فوق اللائق فاضاع ساعات العمل او اذا نام الحارس في ساعات حراستهِ

المقالة الثالثة

نظر يسوع المسيح في الشكوك

احترام الشكوك مؤيد بمعاملة السيد المسيح اياها . والعالم الراقي على اختلاف مللهِ ومذاهبهِ يزداد اتفاقاً على الاسترشاد بهذا المعلم الصالح العظيم في امور الادب والدين

احترامهُ شك المعمدان

شك يوحنا المعمدان اعظم شك لما اظهر ربهُ في كون يسوع الناصري هو المسيح المنتظر . لكن يسوع مدحه امام الجمهور في الساعة التي صرح فيها بهذا الشك قائلاً «انهُ افضل من نبي» وايضاً «لاني الحق اقول لكم انهُ بين المولودين من النساء ليس نبي اعظم من يوحنا المعمدان»

فهذا المصلح الشهير والواعظ الغيور طرح في سجن مكرب جداً استعداداً لاعدامهِ وهو في اوج رجوليتهِ وفوائد خدمتهِ . يرجح انهُ وقع في يأس من باعثين قويين لشكه . اولهما اتخاذ يسوع خطة في التعليم والعمل تخالف كلياً افكار المعمدان وشعبهِ في

ماذا تكون خطة المسيح متى جاء، والثاني تمنع يسوع عن انقاذه من الغضب الملوكي المهلك حال كونهِ نسيبهُ وحبيبهُ الذي بشّر بهِ وقدمهُ على نفسهِ والذي قد برهن بواسطة معجزاته الكثيرة المدهشة اقتداره على هذا الانقاذ . فلجأ الى الاستفهام من يسوع عن وجوب انتظار غيره يعمل الاعمال المطلوبة من المسيح الحقيقي حسب زعمه . فلو كان يلام الشاك المخلص لكان المعمدان اول من يلام بالنظر الى الكثير الذي اتاه قبل سجنهِ من البراهين القاطعة المختصة بالمسيح لكنهُ برهن اخلاصهُ بانهُ بدلاً من ان ينام على شكه او يتذمر منهُ استخدم بعض تابعيهِ ليسترشد بالمسيح في الامر

شك توما

نجد عبرة ثانية في تلطف المسيح مع رسوله توما ممثل اصحاب الشكوك . فانهُ بعد اصرار توما على الشك ادى له بكل محبة البرهان الذي طلبهُ مع توبيخ لطيف لرفضهِ البراهين الروحية في الامور الروحية والحاحهِ في طلب البراهين الحسية فيها اذ قال لهُ « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » . اي لم يطلبوا براهين حسية

شك الرسل

ولما قابلهُ رسلهُ في الجليل بعد قيامتهِ قيل « لما راوه سجدوا لهُ

لكن بعضهم شكوا » (بسبب التغيير في هيئتهِ الجسدية عند قيامتهِ) ولكن يذكر انهُ وبخهم اذ كان عالماً اخلاصهم في شكوكهم

ونرى في العهد القديم عبرة مفيدة ايضاً توثر في كل من يمعن النظر فيها وهي اعترافات ايوب الصديق وداود النبي بالشكوك التي حيرتهما . غير انهما اعتنيا ايضاً بان يعلنا الحل الذي وجداه لتلك الشكوك لانهما كانا مخلصين فيها

لزوم اعتماد الوحي

يلاحظ المطالع النبيه امرين في الذين احترم المسيح شكوكهم اولهما تمسكهم بكتاب الوحي بين ايديهم لحسبانهم اياه صوت الاب السماوي المحب لهم وحسبانهِ معيناً ضرورياً لحل الشكوك ومعرفة حقائق الدين . لان الذين يهملون هذا الكتاب يتعرضون لمثل ما اصاب الرجل الذي قيل عنهُ انهُ بعد اطلاعه على كتاب الفيلسوف افلاطون في خلود النفس اقتنع بذلك تماماً وثبت على يقينهِ ما دام الكتاب بين يديهِ . لكن لما ترك الكتاب ضاع اقتناعه وعاد الى انكار الخلود

من اقوال المسيح الجوهرية ذات الفلسفة العميقة قوله « ان شاء احدكم ان يفعل مشيئة (الله) يعرف التعليم هل هو من الله »

فالذي يطبق تصرفاتهِ على ما يعلمهُ او يوقن بهِ من امور الدين يفتح بذلك باباً واسعاً لكي يحصل على نور جديد ومعرفة حقائق جديدة مخفية عنهُ لولا هذا الامتثال لما يعلمهُ · فما يتبقى من الشكوك عند امثال هذا تحترم تماماً

اعتماد العواطف

والامر الثاني هو اعتماد الذين ذُكروا على العواطف قبل الاراء في طلب حل شكوكهم لانهم اشركوا قلوبهم مع عقولهم في هـذا السعي المبارك · صدقوا قول الحكيم «فوق كل تحفظ احفظ قلبك لان منهُ مخارج الحياة» فلكون قلوبهم محبة ولمعرفتهم ان للعواطف تأثيراً عظيماً على حكم الانسان في ما يختاره سلمت شكوكهم من سموم الكـفر

الولد المحب الذي يسمع صوت ابيهِ عن بعد في الظلام الحالك لا يسمح قلبهُ لعقله ان يشك في وجود ابيه وراء الصوت لمجرد عدم رويتهِ شخصهُ · فالمحبة المخلصة تطرد كثيراً من الشكوك

اذاً ليس من الحكمة ان يسلم الانسان ادارة اموره الدينية الهامة الى الاحكام العقلية وحدها بدلاً من ان يشرك عواطفهُ مع ارائه لكي يصيب في الوجه الذي يقره مما يشك فيهِ · ولا ريب في ان كثيراً من الاراء الكفرية نتيجة اهمال حق العواطف الصالحة في الاحكام

المقالة الرابعة

الانكار

من شروط احترام الشكوك ان تكون شكوكاً لا انكاراً . لان كثيراً مما يسمى شكوكاً هو فعلاً انكار فلا يدخل تحت حكم وجوب احترام الشكوك . لانه لا ينطبق على التعريف اللغوي المذكور في المقالة الاولى . «الشك هو التردد بين نقيضين بلا ترجيح احدهما على الاخر عند الشاك» . فمتى ترجح الوجه الايجابي يعد يقيناً وكلا الامرين لا يصحان دون مستند كافٍ

الشك غير الانكار

يتوهم كثيرون وهماً ضاراً هو ان الانكار لا يحتاج الى برهان بل اليقين فقط . لكن الانكار دون برهان جهالة وخطر اكثر من الايمان دون برهان . وعند البرهان يحترم الانكار كاليقين . ومتى كان البرهان ناقصاً يجب ان يدوم الشك الى ان يحل محلهُ ما ينوب عن البرهان (كما سيأتي بيانهُ في مقالة اخرى)

لزوم برهان الانكار

الا انهُ بناء على تسليم كل عاقل بوجود امور كثيرة لا يفهمها

وجب عليهِ ايضاً ان لا يتطلب في كل امور الدين فهماً تاماً قبل تسليمهِ بها · يجوز ايراد شاهد بسيط لهذه القاعدة يوضح المعنى المقصود

عدم بعض ادراك المسلّمات

حدث مرة ان شباناً اتفقوا على المجاهرة بانهم لا يسلمون بصحة ما لا يفهمونهُ من امور الدين · فحجهم مؤمن سمع حديثهم بقوله « رايت اليوم خنازير وابقار واغناماً وطيوراً كبيرة ترعى الاعشاب معاً في حقل · وانتم تسلمون ان الغذاء الواحد يتحول في الخنازير الى شعر خشن وفي الابقار الى شعر ناعم وفي الاغنام الى صوف وفي الطيور الى ريش · فهل تفهمون كيفية ذلك ؟ »

وحجهم آخر بقولهِ « رايت الشمس تذيب ثلجاً في بقعة ثم تجمد الوحل تحتهُ · فهل تفهمون كيف تفعل فعلين متناقضين ؟ »

ثم حجهم ثالث فقال « وضعت بيضاً في مقلى فرأيت النار الواحدة تذيب السمنة وتجمد البيض ضمنها · فهل تفهمون كيفية ذلك ؟ » وعرفوا جهالة ادعائهم الاول

هذه امثلة الامور البسيطة التي يسلم بها كل انسان يومياً دون فهمها · لكن العلماء ايضاً مقيدون بالمبدإ ذاتهِ · مثال ذلك لا يخطر على بال احدهم ان يتردد في الاعتراف بدخول مبدإ الحياة في الكون

لعدم فهمهِ كيفية دخولهِ . لا بل لو انكر العلماء كل ما لا يفهمونهُ في الطبيعيات لبطل الفحص وتوقف كل اختراع واكتشاف . ومثل ذلك يقال في الدينيات

عدم الادراك لا ينفي الحقيقة

فالحكيم المخلص لا ينكر صحة قضية ما لمجرّد عدم ادراكه اياها او لعجزه عن تفسيرها بل يتوقف عن كل انكار الا المويد بالبرهان

يعلم المطالع المفكر ان التقدم العلمي الحديث قد افسد باكتشافاتهِ بعض حجج الملحدين القديمة وزعزع غيرها بتفاسير جديدة معقولة لان المعرفة جارية الايمان

فمتى كانت الاراء صائبة تنعش الايمان ومتى كانت فاسدة تخنقه ومن اهم الوصايا الالهية ما اتى بهِ الرسول في قوله « لكن انموا في المعرفة »

لان حياتنا الحاضرة حياة غموض لا حياة جلاء . فشكوكها لا تكون الا كثيرة . هي اشبه بساعات الفجر والشفق حين تكون اشباحاً مختفية وكل الاشباح معرضة لبعض الابهام . هي كفجر للحق فيعقبها اثباتهُ وكشفق للبطل فيعقبها انكاره . لانها استعدادية فقط لحياة اسمى قال فيها الرسول « حينئذٍ سأعرف كما عرفت »

يتحول الشك انكاراً عند البعض لا لاثبات الانكار بالبرهان بل لعدم اثبات اليقين بالبرهان وهذا الانكار لايجهد

قد ينكر الانسان وجود العزة الالهية لا لانه حصل على برهان لعدم وجوده تعالى لكن لانه يزعم ان البراهين على ذلك ناقصة · فبرفضه قضية جوهرية رائجة وجميلة ومفيدة يغلق في وجههِ باب الفحص المخلص · ويبعد الحل الصحيح لشكهِ · ويتعرض لغائلة عظيمة تتبع انكاره الواهن · مثل ذلك يفعل كثيرون بشكوكهم في قضايا اخرى دينية لانهم يحولونها انكاراً لا لاثباتهم الانكار بالبرهان بل لعجزهم عن اثبات اليقين بالبرهان · فالحكمة تستدعي ان مثل هؤلاء يلبثون في صف الشاكين بدلاً من الهجر الى صف المنكرين

لا تسقط الحقيقة بسقوط البرهان الضعيف

ايضاً قد يربط الانسان صحة قضية ما ببراهين واهنة او قاصرة · فمتى اطلع على وهنها او قصورها ينكر القضية حال كونها صحيحة بدليل براهين اخرى كافية يجهلها هو فكان عليهِ ان يفحص عنها قبل ان يتهور في مخاطر الانكار

نستعين لاجل ايضاح المقصود بقصة معروفة في تاريخ جورج وشنطون محرر الولايات المتحدة من سيطرة انكلترا · قيل عنهُ انهُ في

صغر سنه عطل بفأس صغيرة أُهديت اليهِ شجرة كرز عزيزة عند ابيه وانهُ لما سألهُ ابوه من فعل ذلك قال « لا يمكنني ان اكذب . انا فعلت هذا بفأسي» فالذي لا يعرف غير هذه القصة اثباتاً لصلاح هذا الشخص قد ينكر صلاحهُ متى قرأ في التاريخ الحديث انها خرافة . حال كون صلاحهِ ثابتاً ببراهين أُخرى كان يجب الاطلاع عليها قبل التصميم على الانكار . فالعاقل لا يسمح لسقوط البرهان الواهن ان يسقط معهُ الحقيقة التي بناها عليهِ الا بعد عجزه عن الاهتداء الى براهين اخرى صحيحة تؤيد تلك الحقيقة

الجهل يحول الشك انكاراً

الجاهل يميل الى عدم التدين فمتى زرعت الشكوك في ذهنهِ يسرع بتحويلها انكاراً . اما العاقل فيأبى ان يطرح بنفسه على صخور الانكار المهلكة كلما ماج بحر الشكوك بسفينة حياتهِ

قد يزرع انسان في ذهني شكاً بصلاح احد اصدقائي المحسوب عندي صالحاً . فالحكمة والامانة والمروءة تقضي عليَّ ان لا احول هذا الشك الى انكار صلاح صديقي الا بعد الاثبات القطعي

الحل الايجابي والسلبي

فالعقائد الصحيحة تعد من اعز اصدقاء الحكيم . لذلك لا يرفضها

لمجرد وقوع الشكوك في صحتها بل يتطلب اقوى البراهين لرفضها والا فيحافظ عليها · لان الحل الايجابي للشكوك اي اليقين اصلح للبنيان من السلبي اي الانكار · فالحكمة تطلب البخل في نشر الانكار والكرم في نشر اليقين · هذا مع تصريحنا بان الانكار المؤيد بالبرهان واجب مقدس نظير اليقين المؤيد بالبرهان · اما تحذيرنا فهو من الانكار الفارغ السطحي

وقد يحول البعض شكوكهم انكاراً من تاثير تمسك اهل اليقين بتفاسير قديمة لا تنطبق على المعلومات الحديثة التي تتطلب تفاسير حديثة تتفق معها

لكن الحكيم لا يسقط الحقيقة لمجرد سقوط تفسيرها بل يفتش عن تفسير اخر جديد يتفق اتفاقاً صادقاً ومعقولاً مع كل حقيقة اخرى ثابتة

حصن العقائد

تشبهُ العقائد الدينية المسيحية بحصن بني في العصر الرسولي وهو جم حالاً هجمات عنيفة نجحت نجاحاً صور للمهاجمين ما جاهروا بهِ مفتخرين انهم هدموا هذا الحصن هدماً ليس لهُ بعده قيام · لكن لم يطل الوقت الا ورمم ما تخرب ترميماً زاد الحصن متانة

تجدد نموها

او لان الحقائق الدينية المسيحية اقرب كثيراً الى الحي منها الى الجماد نشبهها ايضاً بشجرة كبيرة مثمرة يهاجمها عدو ويقطع اغصانها بقصد ابادتها . ويخدع نفسه بانهُ قد ابادها . لكن مبدأ الحياة فيها يجددهـا بنشاط فيتزايد نموها وامتدادها

الهجمات العدائية

وهذه الحالة في تاريخ تلك الحقائق كانت تتجدد في الاجيال المتوالية حيناً بعد حين في ذات التفاصيل تقريباً (كما سبقنا فاشرنا الى ذلك في المقالة الاولى)

قدمية الاحتجاجات

ومعلوم ان الاحتجاجات الكفرية التي تروّج في يومنا هذا هي القديمة ذاتها التي افرخت مرات عديدة في التاريخ ثم أُهملت لسخافتها وليس بقليل المنكرون العصريون الذين يتصورون ان اعتراضاتهم على اليقين المسيحي مكتشفة منهم وتدل على تفوقهم في الذكاء او في المعارف فحذار من تعيير الشاكين بما يحق ان يغير بهِ المنكرون

المقالة الخامسة

صعوبة التأكيد

تحترم الشكوك بالنظر الى اضطرار دوام كثيرها في الحياة الحاضرة اذ لا بد من الغموض في كثير من امور الدين . التأكيد نقيض الشك . فحيث تاكيد لا مجال للشكوك . وحيث لا تاكيد لا غنى عن الشكوك . فالنظر في الشكوك يستلزم النظر في التاكيد ايضاً

المؤكد تماماً هو ما لا يقدر العاقل ان يعترض على صحتهِ اي ما ليس فيهِ رايان . بناءً عليه فان اكثر امور الانسان داخلة في باب الشك واقلها في باب التاكيد

الانسان ياكل ويشرب وهو غير متاكد ان غذاءه خالٍ من المواد السامة والميكروبات القتالة . ينام وهو غير متاكد انهُ سيقوم صباحاً . يسافر وهو غير متاكد وصولهُ الى مقصده او عوده الى بيتهِ سالماً . يتاجر غير متاكد امر ربحهِ او خسارتهِ يتكلم ولا يتاكد ماذا يكون تأثير كلامه . يصنع خيراً ولا يتاكد ان ما يفعلهُ لا يتحول ويلاً . يسمع اخباراً ولا يتاكد صدقها يتعب وينفق كثيراً في تربية

اولاده غير متاكد ان كل ذلك لا يضيع فيهم · وهلمَّ جراً · فهل يتوقف عن الاكل والشرب والنوم والسفر والتجارة والكلام والاحسان وتربية الاولاد لعدم حصولهِ على التاكيد التام ؟ كيف اذاً يتوقف عن السعي الديني لعدم تاكيده تماماً حقائق الدين ؟ وكيف نرى العاقل لا يسمح لشكوكهِ ان تعطل مساعيهُ في مصالحهِ الزمنية ولكنهُ يسمح لها بذلك في مصالحهِ الروحية ؟

لقد سبق لنا القول ان كل معرفة جديدة تكشف عن معارف اجدَّ كانت مستترة · فالقصور في المعرفة اوسع واشرف مصدر للشكوك · وهو لا يعيب غير الذين يفاخرون به والذين لعدم مبالاتهم به لا يسعون لازالته · لا بل التاريخ يثبت ان اوسع الناس علماً اشدهم تمسكاً بالاقرار بهذا القصور

القصور يستلزم البحث

فهذا الاعتراف بالقصور والاقرار بالشكوك الناتجة عنهُ لا يكون من باب الصدق فقط بل من باب الشهامة والحكمة ايضاً · وفضلاً عن ذلك فانهُ يدل على فضيلة التواضع الناتج عن الشعور بهذا القصور

صدق الرسول الذي كتب « فاننا ننظر الان في مرآة في لغز · الان اعرف بعض المعرفة »

قلة المؤكدات تماماً

فبما ان التاكيد التام في اي امر كان يستوجب معرفة كاملة فيه فلا عجب اذاً في وفرة الشكوك . لان كل ذي بصيرة يعلم جيداً ان الامور الخارجة عن التاكيد التام كثيرة جداً

اما الامور الداخلة فيه فهي القواعد الحسابية والهندسية مع قضايا متنوعة نظير تعاقب الليل والنهار والمطر والصحو وعمومية الموت وامور اخرى عديدة في الطبيعيات التي لا يختلف فيها . اما الامور التي يطلب من الانسان ان يقضي فيها فاغلبها معرّض للشكوك . وكلما علت درجة الموجودات والمواضيع اتسع المجال للشكوك اذ اعلاها ابعدها عن المعرفة الكاملة التي هي اساس التاكيد التام . لذلك فالشكوك اكثر في العقليات منها في الماديات لان التاكيد في الاولى اصعب

شك السذج وتأكيدهم

شكوك السذج قليلة وتاكيداتهم كثيرة لجهلهم حقائق الامور لذلك فكثير مما يسمى تاكيداً هو نتيجة البساطة ولا يعول عليهِ

يدخل الفتى الساذج مدرسة عالية وهو متاكد صحة الاراء الدارجة البسيطة بخصوص الاجرام السماوية . فمتى درس علم الفلك تبتدىء شكوكهُ في صحة ما تلقنهُ في قريتهِ وتذوب تاكيداتهُ . ثم عندما

يتعمق في الدرس يحصل على مجموع تاكيدات جديدة راهنة تؤيدها المعارف والاكتشافات الفلكية بدلاً من تاكيداتهِ القديمة الواهنة . ومثل هذا التغيير يحصل ايضاً في باب الشكوك الدينية التي تنقل صاحبها من تاكيدات الجهل الى تاكيدات المعرفة الصحيحة

ثم ان الاختبار الديني يخول صاحبهُ التاكيد واختبار غيره من العقلاء الصادقين يقرّبهُ من التاكيد

نفرض انساناً قد طوّق الكرة الارضية في اسفاره بينما جاره لم يبرح بلده . فلو رفض هذا الثاني بتاتاً التسليم باستدارة الارض لا يعذر في ذلك لانهُ كان عليهِ ان يعطي حقاً لاختبار جاره اذا عرفهُ رجلاً عاقلاً ومستقيماً . وفي امور الدين يجب ان يعوّل كثيراً على اختبار الاذكياء الصالحين وتحترم تاكيداتهم

المقالة السادسة

الاخلاص في الشكوك

مثل السفينة

تشبه قوى الانسان العقلية بقلوع السفينة الشراعية · وشكوكهُ بالريح السماوية التي تملأ هذه القلوع · ومقاصده فيها بدفة السفينة · فمتى نفخت الريح في القلوع وملأتها يتوقف نجاح السفينة وسلامتها على حسن استعمال الدفة لان الريح التي ينتظر منها ان تسهل وتعجل بلوغها المرفأ المقصود تفعل عكس ذلك وتعجل طرحها على الصخور المهلكة اذا أساء الربان استعمال الدفة او اهملهُ

ولما كانت المقاصد هي الدفة التي تدير حياة الانسان ضمن دائرة القضاء الالهي ينتج عن ذلك ان اضرار الشكوك تأتي من باب مقاصد صاحبها · لان الذي يهمل الاخلاص في شكوكهِ تطرحه على صخور الانكار المهلكة · فلما كانت القضايا تزيد ايضاحاً بتفسير عكسها نذكر بعض انواع الشكوك المنافية للاخلاص

الشكوك الغير المخلصة

(١) شكوك المغرض اي الذي غرضهُ فيها غير الوصول الى

الحقيقة · فهذا لا يقدر ان يفهم البراهين فهماً صحيحاً ولا يعتمد على حكمه سواء حكم باثبات القضية ام بانكارها

(٢) شكوك المقلد الذي لضعف عقله وشح معارفهِ ينقل عن غيره شكوكاً لا حق لهُ فيها حتى وقد لا يفهمها · فالشريف المخلص يترفع عن الالتجاء الى الشكوك المستعارة اكثر مما يستصعب الارتداء بالاثواب المستعارة

(٣) شكوك المرائي الذي يتباهى بغير افكاره الحقيقية ارضاءً لغيره من المغرضين

(٤) شكوك المدعي الذي في تعجرفهِ يتصور ان مماثلتهُ لعموم الناس في ارائهم تكون لهُ ذلاً · وان في مخالفتهِ اياهم دليل تفوقهِ في الحذق والعلم والجرأة · ولذلك يفتخر بان ينتقد معتقدات الاكثرية زاعماً انهُ يبرهن بذلك انهُ من الممتازين في مواهبهِ العقلية

(٥) شكوك المهذار نتيجة الطيش والاستخفاف

ولا شك ان الاستخفاف بالدين اقبح الذنوب وتسخير الدين لاجل المزاح تجديف وقباحة · مثال هذا الجنس بيلاطس البنطي والي اليهودية الذي قابل كلام يسوع في موضوع الحق بسؤاله الهزلي ما هو الحق ؟

(٦) شكوك الخبيث نتيجة التمسك بالشرور التي تجعل صاحبها

يطلب ستاراً ومخـدراً لمخالفته . فالذي يتمسك بشكوكه لاجل التخلص من المسؤولية الادبية او الدينية ولاجل التساهل مع البطل في الافكار او الافعال يكون بعيداً جداً عن الاخلاص فهو يعادي الدين لكونهِ مداناً منهُ

مثل غاليو

مثل هذا يذكرنا بما حدث للعالِم الايطالي الشهير غليليو الذي اضطهد اضطهاداً شديداً لاجل اصراره على القول ان الارض تدور حول الشمس في حين كان هذا الراي محسوباً كفراً مناقضاً للكتاب المقدس . اخترع هذا الفلكي المرقب لاجل مراقبة الاجرام السماوية وبواسطتهِ اكتشف سيارات المشتري سيارة الشمس الكبرى فلما زاره احد الفلكيين اضداده طلب غليليو من زائره ان ينظر هذه السيارات الظاهرة للبشر لاول مرة بواسطة المرقب . لكن هذا رفض قائلاً « لا اريد ان اراها لاني اذا رايتها لا يمكنني بعدئذٍ ان اقاوم اضاليلك الفلكية »

الشبان الاسكتلنديون

ويذكرنا ايضاً صاحب الشك الخبيث بثلاثة شبان في سكوتلاندا اشتركوا في قتل . فلما حضروا صدفة بوقت قريب اقامة العبادة في

بيت تقوي ادى ذلك الى بحث فيما بينهم عن وجود اله ومسؤوليتهم نحوه تعالى وعن وجود عقاب بعد الموت وخوفهم منهُ فقرروا اخيراً انكار القضيتين بحجة انهُ لا يوافقهم الاعتراف بصحتهما · المخلص يمتحن شكوكهُ وينتقدها بامانة ودقة كما لو كانت لغيره وكان هو مؤمناً بالقضايا المشكوك فيها

فالشك المخلص هو الذي يقصد صاحبهُ فوق كل شيء ان يحلهُ حلاً موافقاً للحقيقة سواء ماثل اهواءه وتقاليده ام خالفها

ضرر الغرض الشخصي

يجب ان نعيد القول ان الذي يسمح لنفسهِ بغرض في شكوكه سوى غرض الوقوف على الحقيقة في امرها فانهُ بذلك يضيع الاهلية للحكم بانصاف بسبب ميلهِ الى جهة دون اخرى لغرض نفساني وشكوكهُ لا تكون شريفة او مفيدة او محترمة

فالسهر الدائم على الاخلاص ثم الاخلاص ثم ايضاً الاخلاص شرط اولي لحفظ احترام الشكوك وتحقيق فوائدها

المقالة السابعة

حل الشكوك

لابي العلاء المعري شعر شهير في قضية الشكوك الدينية قال :

زعم المنجم والطبيب كلاهما ان لا معادَ فقلت ذاك اليكما
إن صحَّ قولكما فلستُ بخاسرٍ او صح قولي فالوبال عليكما

فعل جيل النبي نوح فعل المنجم والطبيب في شكوكهم . فكان الوبال عليهم لانهم لم يستعينوا في حل شكوكهم بما كانوا يعهدونهُ في نوح من الاستقامة والحكمة والذكاء فتورطوا في الانكار الذي اهلكهم جميعاً

ظهرت حكمة ابي العلاء في اتخاذه النتائج مفتاحاً لحل الشكوك الدينية . متى كان وجه الحق واضحاً يزول الشك فلا محل للسؤال عن النتائج . لكن متى كان مبهماً يستعان بالنتائج في حل الشكوك حلاً مرضياً

لا يغيبنَّ عن البال ان المرمى في هذه المقالات ليس معالجة

الشكوك الافرادية بل التنبيه الى بعض مبادىء معقولة تعين المخلص في معالجتها · هذه تفعل فعل المفتاح الاتم Master Key في يد مدبر الابنية العمومية الذي يفتح كل الاقفال المختلفة في بنايتهِ بهذا المفتاح الواحد

النظر الى النتائج

١ــ فالمبدأ الاول من هذه المبادىء هو النظر الى النتائج في حل الشكوك · فمن النتائج ما يوضح اموراً ماضية لا تعرف الا من نتائجها كالدفائن في الارض والمحجرات في قلب الصخور · فهذه متى أُشبعت درساً تزيل شكوكاً كثيرة في ما يختص بحالات الارض وموجوداتها في ما مضى

وفي الدين ايضاً يحل درس الماضي ونتائجهُ كثيراً من شكوك العاقل

في الازمنة الثلاثة

ومن النتائج ما يحل الشكوك بالنظر الى معانيها الحاضرة مثل ذلك يحصل عندما نسمع خطيباً نجهل درجة ذكائهِ ومقدرتهِ · فعندما نسمع كلامهُ وندرس محياه وهما نتيجتان ظاهرتان لذكائهِ غير المنظور يزول الشك ونحكم بانهُ ذكي قدير

فني الدين ايضاً تحل شكوك كثيرة بالنظر الى نتائجهِ الحاليـة المنظورة وهو ذاتهُ خفي غير منظور · لانهُ عندما نرى نتائج التدين في المحن الشديدة كالاضطهاد واهوال ساعات الموت واضطرابات الهموم القتالة ثم في التغيرات التي يحدثها التدين في بعض المستعبدين للمنكرات والفواحش · ثم في اقوال المتكلمين عن اختباراتهم الروحية من افراح الايمان ولذة الرجاء وبهجة المحبة كل هذه النتائج تعمل على قطع الشكوك في صحة الدين الذي يحدث نتائج حميدة وباهرة كهذه

ومنها نتائج ينتظر وقوعها في المستقبل · مثال هذه نتائج تعب الزارع الذي يختار اجناس مزروعاتهِ بالنظر الى النتائج المأمولة · ونتائج طالب العلم الذي يتخصص للفرع الذي يريد ان يبرع فيـهِ بالنظر الى النتائج التي يعلل نفسهُ بها متى برع · فالدين يشترك مع مصالح الانسان الاخرى بتكييفه وفقاً للنتائج المنتظرة منه · فبناءً على نمو الحياة الابدية ودوامها تعطي نتائج الدين المستقبلة الاهمية الاولى في الدلالة على الوجه الصحيح في حل الشكوك وقد خص ابو العلاء في شعره هذا النوع الثالث من نتائج الدين التي تحل الشكوك

اعتماد حكم الثقات

٢ والمبدأ المعقول الثاني قريب من الاول وهو اعتماد حكم

اهل الثقة والخبرة

معلوم ان الانسان لا يقدر ان يفحص جيداً الا جزءاً مما يضطر ان يختار الوجهة فيهِ التي يجب ان يسير بموجبها لذلك يعتمد في اكثر اموره على احكام اهل الثقة والخبرة في الامور الكثيرة التي لا يقدر ان يفحصها ويحققها بذاتهِ فمن المعقول ان يراعي هذا المبدأ في الدين ايضاً فيعطي الشاك مقاماً وقيمة لشهادة المحققين من اهل الثقة والخبرة الذين يجمعون في شخصهم البراءة في فرعي الدين والعلم . قد مضى الزمان لله الحمد الذي فيهِ كان اهل الدين يخافون من اهل العلم والعكس بالعكس . نكاد ننسى الان الايام حين كان الفريقان يتحاربان ويتنافسان كأن الدين والعلم نقيضان . فالذي اوقع الخصام بين الرفيقين الملازمين هو الجهل في الطرفين . ولم نسلم بعد كما يجب من هذا الخصام المشؤوم

الجهل علة التفرقة

غير ان المطالع المخلص يرى ان المعلومات العلمية التي زادت في الفروع الطبيعية زيادة مدهشة لم تزعزع حتى الان اركان الحقائق الدينية المسيحية بل اثبتتها على صورة عجيبة مع زحزحة كثير من تفاسيرها المغلوطة

تمني هيوم عدم الشك

يروى عن روبرت هيوم الفيلسوف الملحد الانكليزي الشهير انه قال مرة «اني مع مزيد تعلقي بالاكتشافات الفلسفية وشهرتي في المؤلفات الكفرية اتمنى احياناً ان لا اكون من الشاكين في الدين» فان قولهُ هذا كان مبنياً على اكثر ما شاهده من فوائد التدين في بيت مسيحي مصاب باشد النوازل

وبحق نظن انهُ لو اجتهد هذا الفيلسوف في حل شكوكهِ الدينية اجتهاده في الدروس الفلسفية والكتابات الكفرية لنال ما كان يتمناه في احيان الالهام الرباني

فشكوك الذي لا يهمهُ حل الممكن حلهُ منها بل يرضاها بما فيها من الضلال لا تكون شريفة ولا سليمة بل خطرة ومضرة لانها تبث فساداً فيهِ وفي من يلاصقهُ وتزيد اهتداءه الى الحقيقة صعوبة اكثر فاكثر والاذكياء يدركون انهُ عند نقض البرهان في امر مألوف ومفيد يكون تاييد ذلك الامر اصح من رفضهِ

ضرر دوام الشكوك

فمن الشروط الاولية في جعل الشكوك محترمة اجتهاد صاحبها في حل كل ما يمكن منها حلاً مرضياً وموافقاً للحقيقة ويؤيد الانجيل

ضرورية هذا الشرط في الوصية الصريحة «امتحنوا كل شيء تمسكوا بالحسن» لان الامتحان مبني على الشك والتمسك مبني على اليقين الناتج عن الامتحان . فحسبان الشكوك مفيدة لا يعني بتاتاً قبول دوامها. العلق الذي يوضع لامتصاص الدم الفاسد قد يفيد كثيراً ولكنهُ يضرّ اذا بقي طويلاً . والنظر الى بعد يقوي البصر لكن اذا طال يضعفهُ . يعلم المدرك ان الشكوك ليست الا طريقاً وان الطريق لا تصلح للمكث فيها طويلاً . فيسلك هذه الطريق موقتاً بينما يتفكر ويدرس ويسأل ليتوصل مفتوح العينين الى المفرق الفاصل بين اليقين والانكار ليختار ايهما يحكم عقلهُ وضميره بصوابهِ عالماً ان التردد في الامور الهامة خجالة وخطر . وبناء على تفوق الدين بين جميع مصالح الحياة تظهر اهمية العزم والحزم لاجل قطع التردد في فض المشاكل الدينية

دوام الشكوك يشبه بدوام عيادة الطبيب التي تعد من باب الفشل ومما لا يقبلهُ العاقل الا مرغماً . فاحترام الطبيب لا يعني الرضى بالاحتياج اليهِ . وهذه المقالات في الشكوك لا ترمي الى الارتضاء بها متى امكن حلها

الحذر من التقيد بالحرفيات

من المبادىء المعقولة التي تعين المخلص في حل شكوكهِ

الحذر الزائد من التقيد بالحرفيات لان الكلام المجازي هو قسم عظيم ومكرّم بين اقسام الكلام . ولان المفكر يميز بين المتن والحواشي و بين الجوهري والعرضي

ان كثيراً مما يقال في العزة الالهية لا يجوز ان يؤخذ حرفياً مثال ذلك ما يقال في الكتاب المقدس عن يد الله وعينهِ وفمهِ وقدمهِ ووجهه وقفاه الخ مما لا تصح ولا تجوز نسبتهُ حرفياً الى من هو روح محض فلا ينسب اليهِ تعالى ما ينسب الى المخلوق الا مجازياً . ومثل ذلك ما يقال عن افعالهِ تعالى كالتكلم والمشي والابراق والارعاد والكيل والوزن والطيران الى غير ذلك

ومن اشهر شواهد خطإِ التمسك بالحرف غيظ اليهود عندما كلمهم المسيح عن وجوب اكل جسده وشرب دمهِ . فلانهم اتخذوا كلامهُ بالمعنى الحرفي قالوا « هذا كلام صعب من يقدر ان يسمعهُ » حتى ان رسلهُ ايضاً تذمروا عليهِ بسبب هذا الكلام . فنوّرهم بقولهِ « اهذا يعثركم . الروح هو الذي يحيي اما الجسد فلا يفيد شيئاً الكلام الذي أكلمكم بهِ هو روح وحياة » مثل ذلك علم بولس الرسول الكنيسة بقولهِ « نكون خدام عهد جديد لا الحرف بل الروح . لان الحرف يقتل لكن الروح يحيي »

بناء المجهول على المعلوم

مبدأ آخر هو بناء المجهول على المعلوم نتخذ ما نتيقنه اساساً لنبني عليهِ ما نجهلهُ على شرط اتفاقهِ مع المعلوم · المعرفة تأتي الى صاحبها على سبيل التدرج · مثل كثيرين من الشاكين هو مثل الذي ينكر علم الحساب البسيط لعدم فهمهِ الفروع الرياضية العالية · او الذي يرفض ان يتعلم الحروف الهجائية لانهُ يجهل ما يتأتى عن تركيبها واستعمالها

وهذا حكم المعرفة الدينية ايضاً · فالانسان العاقل يعتبر ذاتهُ تلميذاً في الدين فيتدرج في حل الشكوك الواحد بعد الاخر · ويضاف على ما سبق مبدأ عدم الارتياب بغلبة الحق اخيراً

غلبة الحق اخيراً

فالجرأة واليقين بثبوت الحق يمنعان العاقل عن التخوف من الفحص العلمي ومن التسليم بكل احكام العلم الصحيح في الطبيعيات فنعيد قولنا السابق انهُ لا يمكن ان يزحزح العلم الصائب اركان الدين الحقة لانهُ لا يفعل الا ليحور و يصلح بعض تفاسيره المغلوطة « فالحق يعلو ولا يعلى عليهِ »

المقالة الثامنة

الترجيح

تفضيل كافر موت الايمان

روي عن كافر توفيت امراتهُ التقية تاركة لهُ من الاولاد ابنة وحيدة انهُ عندما مرضت هذه وقاربت الموت دعتهُ الى جانبها وحدثتهُ في امر الدين الى ان سألتهُ صريحاً « هل تنصحني ان اموت على مبدئك ام على مبدإِ المرحومة امي ؟ » فاضطرب الرجل كثيراً لتشبثهِ بمبدئهِ الكفري مع شدة حبه لابنته وكاد لا يتمالك عواطفهُ عند جوابهِ « انصح لك ان تموتي على يقين امك »

لم يرضَ ان يعرض ابنتهُ لخطر قبله على نفسهِ . نقصهُ التاكيد فعمد الى الترجيح عوضاً عنهُ . وكان بذلك حكيماً

الترجيح ينوب عن التاكيد

قد سبق الوعد بالبحث في ما ينوب عن التاكيد التام متى تعذر هذا . فالترجيح هو هذا النائب الذي يعوّل عليهِ في حل الشكوك . نعلم ان كل انسان في تدبير اموره الزمنية يستعين بالترجيح مكان التاكيد الضائع

يرجح الانسان سلامة طعامهِ وشرابهِ من المضرات فياكل ويشرب بقابلية وانشراح · يرجح بلوغه المحل الذي يقصده في سفره وعوده سالماً الى بيتهِ فيهمّ بالسفر · يرجح التاجر ربحاً في تجارتهِ فيواصل ممارستها وتوسيعها · يرجح المحسن فائدة مزدوجة في احسانهِ فيوزع بسخاء وسرور · يرجح طالب العلم انهُ سيعيش زماناً بعد خروجه من معاهد العلم فيتعب وينفق ويصبر لكي يتم دروسهُ · وهلمّ جراً لكن ليس لاحدهم او لاحد امثالهم تاكيد تام خال من كل ريب بانهُ سيحصل على مرامهِ

التعويل على الترجيح في الاعمال

فالذي يتوقف عن الاشتغال الى ان يحصل على التاكيد في نتيجة شغلهِ تتعرقل اموره ويبقى مكتوفاً ضائعاً كل ايامه لذلك ترى العقلاء يتصرفون على اساس الترجيح كأنهُ تاكيد · ويحكمون بالوجه المرجح عندهم فيهملون شكوكهم لكي يندفعوا بكليتهم الى الاستفادة من المرجح · لان نجاحهم يتوقف على الاندفاع وعلى يقينهم بالنجاح · فيتصرفون كأن المرجح مؤكد · الا ان المدركين منهم يتركون الباب مفتوحاً لدخول نور جديد ياتيهم من اية جهة كانت فيعكسون حكمهم السابق عند ظهور ادلة توجب ذلك

فهل للعاقل اسلوب غير هذا اصح منهُ لاجل التصرف في شكوكهِ واموره الدينية ؟

فائدة التخلص من الشكوك

الفهِم لا يرضى عن الرسوخ طويلاً تحت حكم الشكوك . لذلك يحاول حلها باسرع ما يمكن لاجل التمتع ببركات اليقين الصائب . قد يطيل عن غير رضى تام فحص القضية موضوع الشك لكنهُ يشتهي التخلص من الشك الذي هو برهان قصوره ومذكر دائم بذلك . وبناء عليه يلجأ الى الترجيح كامر حيوي وكاقرب درجة الى الحقيقة يمكنهُ الوصول اليها ويحسبهُ من باب الحكمة والضرورة معاً

نعم ان الترجيح لا يخلص صاحبهُ تماماً من مظهر الشكوك لكنهُ اقرب درجة الى نعيم الحقيقة . الذين يتدرجون من الشكوك الى اليقين على مبدإ الترجيح يحصلون على فوائد بواسطة الدين يخسرها الذين يتدرجون الى الانكار

مثل الرجلين والارض

حكي عن رجلين اخذ كل منهما بقعة واسعة من الاراضي بموجب وصية مثر متوفى كان صديقاً لهما . فباشر الاول حالاً استلام حصتهِ ومعاملتها واستثمارها مفضلاً اليقين على الريب في صحة تملكهِ . اما

الثاني فابى التمثل برفيقهِ واستسلم للشكوك في مستنداته لذلك لم يستلم او يعامل او يستثمر حصتهُ بل قضى الاوقات الطويلة وانفق دراهم كثيرة في الفحص عن قيود وصكوك قديمة لكي يقطع كل شكّ في صحة تملكه · فكان للاول النجاح الاوفر لترجيحه الثقة على الريب

حقاً ان مهمة الترجيح في امور الدين مشروع في منتهى الاهمية ومن المبادىء القويمة التي تراعى في ذلك مبدأ التوفيق بين المقرر والمبهم · من كان له يقين ثابت في الله مثلاً يجعل هذا اليقين على ما لا يتفق · فاذا شك في قضية اعلانهِ تعالى للبشر شيئاً عن ذاتهِ وارادته يحكم بما يرجح اتفاقهُ مع يقينهِ في الله من اعلان كهذا او عدمه

واذا شك في اي كتاب ديني هو هذا الاعلان يحكم بما يرجحهُ بسبب موافقتهِ لما يتيقنهُ في الله

واذا شك في خلود النفس يفعل ذات الفعل · وهلمّ جرًّا ولا بد من تخصيص مقالة اخرى لمتابعة البحث في امر الترجيح

تنبيه — قد زاد الاجل في حياة الدكتور المرحوم يوماً واحداً مكنهُ من انهاء هذه السلسلة من المقالات المفيدة · وقد اتتنا منهُ المقالة الاخيرة وهي هذه قبيل وفاته بيوم واحد فقط وقد ارسل الينا الاستاذ نسيم الحلو «آخر قطرات عين حلوة» نرجوه نشرها الى العدد القادم

لا تفلت النمر

من عهد مئة وخمسين سنة كان بنيامين فرنكلن الاميركي من مشاهير عصره في السياسية والعلم والفلسفة . واخذ شهرة مؤيدة بما اكتشفهُ في باب الكهرباء من جراء ملاحظتهِ مفاعيل البرق . ولما كان من المعترضين في الدين اتاه توماس باين اشهر الملحدين يومئذٍ بمقالة كفرية قوية يقصد نشرها مؤملاً تنشيط فرنكلن اياه في ذلك . لكن فرنكلن اجابهُ «انصحك يا صاح ان لا تفلت النمر من قيده . بل سلم هذه المقالة للهيب قبل ان يراها آخر . لانهُ ان كان الناس مع وجود الضوابط الدينية يميلون الى الشرور ميلهم المعهود ماذا ينتظر منهم لو أُلغيت هذه الضوابط »

بنى هذا الفلسيوف حكمهُ على قاعدة الترجيح وبنى ترجيحهُ على مبدإ مراعاة النتائج . لان الحكيم يرجح المفيد على المؤذي وكثير الفائدة على قليلها وقليل الفائدة على عديمها

فضل الترجيح للصلاح

فعلى من يشك مثلاً في حقيقة العقاب والثواب بعد الموت ان يدرس نتائج كلا الوجهين ويرجح الوجه الذي يظهر لهُ اوفر فائدة في تشجيع الناس على الصلاح والفضائل وتشويقهم اليها . ثم ردعهم

عن الشرور والرذائل وعن توقهم اليها · الانكار سلبي واليقين ايجابي فالثمر يطلب من الايجابي اكثر من السلبي · لذلك عند وقوع الشك يكون من باب الحكمة ان يفترض الانسان اليقين بدلاً من الانكار ريثما ينهي شكهُ بالتحقيق

مثال ذلك من يرى ثوبهُ بالياً · فان كان عاقلاً يعلم ان الثوب البالي يرجح على العري · ومن يرى خللاً في دستوره وكان حكيماً يعلم ان الدستور الناقص يرجح على الفوضى · ومن يشعر بقصوره في العلم يحقق ان علماً قليلاً يرجح على السذاجة التامة · وما يصح في العقول والابدان يصح ايضاً في الاديان · ولذلك على من يتصور اغلاطاً في دينهِ ان يذكر ان الدين ولو كان مغلوطاً يرجح على الكفر ولا يكلف غبي عابد اصنام ان ينبذ معبوده الا ويهتدي اولاً الى معبود افضل · ولا يطلب من متمسك بدستور ديني يرى فيهِ بعض الخلل ان يرفضهُ ما لم يجد دستوراً آخر اصح منهُ

وبما انهُ ضروري في المسائل الحيوية ان يقر الانسان على راي وبما ان حل شكوكهِ عند تعذر التاكيد يتم بواسطة الترجيح يقتضي الانتباه الكافي الى المبادىء الصائبة التي يؤسس عليها الترجيح · ومنها الاقتداء الحكيم الصالح

الاقتداء المفيد

يبتدىء اقتداء الانسان بغيره بحركات طفوليتهِ ويستمر كل حياتهِ حتى ساعة دفنه ايضاً · وبالاجمال يفتح الاقتداء لعموم الناس ابواب العلم والرقي · ففي استخدام الترجيح لاجل حل الشكوك الدينية يكون مبدأ الاقتداء معيناً لا يزدرى به

نعلم ان الاقتداء بآراء اساطين العلم هو اساس كل تعليم وشرط كل تقدم علمي كما ان الاقتداء باراء الاغبياء منبع الخرافات ودعامة الجهل · ولكون العلم ملتحماً بالدين التحام الجسد بالنفس ومصلحتهما مشتركة لا يصح الاقتداء في العلم بعالم كافر ولا في الدين بتقي غبي ومن الحظ البشري ان عدد الذين يمتازون في العلم وايضاً في التقوى يزدادون زيادة سريعة في عصرنا الحالي · فبمثل هولاء يحق للشاك ان يقتدي متخذاً اراءهم اساساً للترجيح · ومن البديهي انهُ لا يعتمد في الامور الدينية على اراء خصوم الدين او مهمليه لانهم مغرضون لا مخلصون

فمع اعترافنا بان الاقتداء باراء العلماء الاتقياء لا يخول التاكيد التام نعتبر انهُ اقرب ما يمكن الى ذلك

يأخذ العقلاء بعين الاعتبار راي كل صاحب ذكاء واستقامة

وكلما زاد عدد الاذكياء المستقيمين الذين يويدون ذلك الراي يزيد قبول العقلاء لهُ

العمل بشهادة اهل الثقة

عندما تتبلغ خبراً مدهشاً يصعب تصديقهُ ننظر اولاً الى مصدره ومتى اكده لنا عدد كافٍ من اهل الثقة نلام اذا بقينا نشك به ونمدح اذا رجحنا صحتهُ

وفي المصالح غير الدينية لا يكتفي المخلص بتصديق كهذا بل ينشرهُ باعادتهِ على غيره كرأي صادق يستحق النشر

وهذه القاعدة يجب ان تسري ايضاً على المصالح الدينية .

العالم يلوم الرسول توما كما لامهُ المسيح لعدم تصديقهِ عدداً كافياً من شهادات زملائهِ الرسل في تثبيت حقيقة قيامته

كثيراً ما نرى امثال توما الرسول الرافضين البراهين الكافية الطالبين منها اكثر مما يحق لهم ويكفي لاجل الترجيح ناسين ان الترجيح القوي يقوم مقام التاكيد . وهذا الخطأ يخسرهم فوائد جزيلة تأتيهم من حل شكوكهم بالترجيح

آخر قطرة من قطرات « عين حلوة »

لتلميذ الدكتور فورد

اسم عين حلوة كان يطلق على مجتمع قليل من المياه الراكدة عند حضيض الاكمة القائمة عليها ابنية مدرسة الفنون الجديدة وهي تبعد نصف ساعة عن مدينة صيدا . وكانت معرفة عين حلوة مقتصرة على بعض المزارعين المجاورين لها وعلى المارين على الطريق التي تحاذيها اما من بضع عشرة سنة حين اقام الدكتور جورج فورد بيتاً فخماً في ذاته وفي ما حواه من التحف الثمينة وبما حف به من الحدائق الغناء الحاوية من كل فاكهة زوجين ومن انواع الرياحين والازاهير والورود المتنوعة الاشكال والالوان . وبما اوجده من الاصلاح في ماء العين بتتبع مصادرها وتعميق البحث عنها حتى جعل منها مجتمع مياه صافية عذبة يجري في انبوب ينبثق منهُ الماء لارواء المارين من ابناء السبيل اكثر ايام السنة

فقد صارت عين حلوة بهذه الاصلاحات والانشاءات واحة غناء وارفة الظلال يقر بها الناظر وينشرح لها الخاطر . في هذا البناء الفخم وفي هذه البقعة المباركة سكن الدكتور فورد وقضى حياة طيبة مع قرينتهِ الفاضلة . وبهما انفسهما وبما انشآه وبما حواه منزلهما اصبحت

عين حلوة ذائعة الصيت وقبلة القصاد للاستئناس بلطف ساكنيها وللوقوف على ما هنالك من التحف النادرة المثال · ومنهم لاستنداء اكف قاطنيها لسد حاجات في النفوس · فالبقعة المهملة الجرداء اضحت مشهورة عند العظماء والعلماء وذوي الحاجات واصحاب المقامات والمولعين في درس الآثار القديمة الثمينة

هنالك كان يستقبل الدكتور فورد وقرينته بطلاقة محياهما وبكرمهما المعهود وفود العفاة وما هم بالعدد القليل · وضمن جدران هذا الصرح كان قلم الدكتور فورد السيال يمر على الطروس فيملأها من بنات افكاره ونتاج علمه واخلاقهِ الكريمة التي اتحف بها قراء العربية · وما انسب هذا الوسط الهادىء والجو الصافي لاتصال سلاسل الافكار وجريها في مجاريها الطبيغية · وآخر ما كان يتحف بهِ قراء النشرة الاسبوعية سلسلة من النبذ والمقالات تحت عنوان «قطرات عين حلوة» وبما اننا قد أُصبنا بفقده وفجعنا الدهر بوفاتهِ صباح الجمعة في ١٨ من ايار عن سبعة وسبعين عاماً قضاها في طاعة الخالق وخدمة المخلوق نضب معين تلك القطرات الحلوة فاخذت على نفسي ان اسطر آخر قطرة وان كانت مشوبة بمرارة الاسف فهي حلوة باشارتها اليهِ وحرية بان ندعوها آخر قطرة من قطرات عين حلوة

نسيم الحلو

CA[redacted] 211:F69sA:c.1
فورد، جورج
الشكوك الدينية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01002694

CA[redacted]
211
F69sA

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY

CA
211
F69sA
c.1